ثلاث صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية في الصين

من طرف هيئة تحرير النقد الثوري الواسع لمدرسة الحزب التابعة للشيوعية الصينية للحزب الشيوعي الصيني / ١٩٧٢ .

منذ سنة ١٩٤٩ ، السنة التي شهدت ميلاد الجمهورية الشعبية الصينية ، دارت ثلاث صراعات مبدئية كبرى على الجبهة الفلسفية في الصين ، الصراع حول مسألة البناء التحتي الاقتصادي و البناء الفوقي ، الصراع حول مسألة معرفة التطابق بين الفكر و الوجود ، و الصراع بين مبدأ «الواحد ينقسم إلى اثنان» و المثالية «الاثنان يندمجان في واحد» ، و قد تمت إثارة هذه الصراعات على التوالي من طرف المرتد يانغ هزيانتشن ، بتحريض سري من ليو تشاو تشي المرتد ، عميل العدو وخائن الطبقة العاملة ، وذلك في اللحظات الحرجة التي عرفها الصراع بين الطبقتين بين المسارين وبين الخطين .

لقد تعلق الأمر بصراعات ضارية وضعت المادية الجدلية و المادية التاريخية في مواجهة الميتافيزيقا و المثالية ، و تعلق الأمر كذلك بتجل للصراع الطبقي الحاد الذي كان يدور في المجال الفلسفي داخل البلاد كما في خارجها . في التقرير المقدم خلال الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني ، كان معلمنا العظيم الرئيس ماو قد اكد على أنه بعد النصر على الصعيد الوطني ، سيصبح التناقض الرئيسي داخل المجتمع الصيني هو «التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية» و شدد على ضرورة استمرار الثورة ، و تقوية الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية أي ديكتاتورية البروليتاريا ، و «أن نجعل من الصين دولة اشتراكية كبرى» .

نحو نهاية سنة ١٩٥٢ ، قام الرئيس ماو أيضا بصياغة الخط العام لمرحلة الانتقال : التحقيق التدريجي للتصنيع الاشتراكي ، و الإكمال التدريجي للتحويل الاشتراكي للزراعة ، للصناعة الحرفية و الصناعة و التجارة الرأسمالية .

بإتخاذه للموقف النقيض عارض ليو تشاو تشي بشكل سافر ، روح الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع للحزب .

لقد هاج بهدف الترويج لمثاليته القائلة "الاستغلال المستحق" ، وأوصى بتطوير الرأسمالية بعد التحرير الوطني ، عارض ليو تشاو تشي ، بدون أي تردد خط الحزب العام فيما يخص مرحلة الانتقال ، رافعا راية «نظرية القوى المنتجة» عاليا ومقدما البرنامج الكارثة «التعاون بين القطاعات الاقتصادية الخمس» [قطاعات الاقتصاد الخمس المقصودة كانت : اقتصاد الدولة ، الاقتصاد التعاوني ، الاقتصاد الفردي للفلاحين و الحرفيين ، الاقتصاد الرأسمالي الخاص ، و اقتصاد الدولة الرأسمالي] من أجل تقوية النظام السياسي للـ "ديمقراطية الجديدة" ، و الذي كان يهدف إلى تطوير الرأسمالية . لقد عاد بنفسه إلى المدرسة الماركسية – اللينينية ، و التي يتحكم فيها بمعية يانغ هزيانتشن ، وذلك بهدف تسويق بضاعتهما الرديئة .

في الوقت الذي كان فيه الصراع الدائر بشراسة بين الخط الثوري البروليتاري للرئيس ماو و الخط اللاثوري الرجعي لليو تشاو تشي ، وبأمر من هذا الأخير بذل المرتد يانغ هزيانتشن الجهد الجهيد بهدف اختراع نظرية «الأساس الاقتصادي المركب» (composite) المزعومة ، مثيرا بذلك الصراع الأول .

ادعى يانغ هزيانتشن أنه خلال مرحلة الانتقال ، كان البناء التحتي الاقتصادي ذا «طبيعة مركبة» ، «يجمع عناصر الاقتصاد الاشتراكي و عناصر الاقتصاد الرأسمالي» مما «قد يعطي تقدما متوازيا و متماثلا» .

كان يقول أيضا أنه ينبغي للبناء الاشتراكي الفوقي أن يخدم بدون تمييز ، «مجموع الأساس الاقتصادي» بما فيه القطاع الرأسمالي للاقتصاد ، و

«البرجوازية أيضا» . هكذا كانت نظرية «الأساس الاقتصادي المركب» ذات شهرة بائسة .

بتقديمه لهذه الترهات الإصلاحية ، أنكر يانغ هزيانتشن تماما كون الاقتصاد الاشتراكي و الرأسمالي يتعارضان قطريا و يتصارعان فيما بينهما .

لقد أنكر الطبيعة الطبقية للبناء الفوقي وسعى إلى إحقاق التنسيق العام و الاستسلام الطبقيين في جميع المجالات من الأساس الاقتصادي حتى البناء الفوقي .

هدفه كان تغيير طبيعة ديكتاتورية البروليتاريا في بلدنا ، والوقوف في وجه وضع أساس اقتصادي اشتراكي و احياء الوجود و التطور الرأسماليين في الصين .

إن نظرية «الأساس الاقتصادي المركب» ليست إلا مشتقة عن نظرية «القوى المنتجة» التي يقدسها الرجعيون القدامى منهم و الجدد ، في الصين و في بلدان أخرى و ذلك في عشرات السنيين .

حسب هذه النظرية ، لا ينبغي للصين أن تسلك نهج التحويل الاشتراكي للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، لا يمكن أن تتجه نحو الاشتراكية ، و إنما ينبغي فقط السماح للقطاع الرأسمالي من الاقتصاد بالتطور و بحرية ، ذلك لأن القوى المنتجة في الصين مازالت متخلفة و الرأسمالية غير متطورة .

بعيد طرحه لمثاليته الرجعية تلك ، تلقى يانغ هزيانتشن ردا صارما من البروليتاريا غير منصاع لهزيمته ، قام في سنة ١٩٥٥ بنشر «الأساس الاقتصادي المركب» خاصته ، بالطريقة الأكثر نظامية من أي وقت مضى ، داعما إياه كليا ، أعلن ليو تشاو تشي قائلا : «إنك على حق !» مضيفا أن الرأسمالية الخاصة «هي جزء من الأساس (خلال مرحلة الانتقال)» .

لقد انتقد معلمنا العظيم ماو بشدة البرنامج الرجعي لـ «التعاون بين قطاعات الاقتصاد الخمس من أجل تقوية النظام السياسي للديمقراطية الجديدة» المعلن من طرف ليو تشاو تشي ، مؤكدا على أن محرك هذا البرنامج الرجعي هو تطوير الرأسمالية .

على ضوء فكر ماو تسي تونغ الذي لا يقهر ، تم التحويل الاشتراكي للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج سنة ١٩٥٦ ، كما تم تطبيق الخط العام للحزب لمرحلة الانتقال بنجاح .

لم تثبت نظرية «الأساس الاقتصادي المركب» ليانغ هزيانتشن إفلاسها على الصعيد النظري وحسب ، وإنما أظهرت عجزها التام أمام الممارسة الثورية .

في سنة ١٩٥٨ ، صاغ الرئيس ماو الخط العام من أجل «بناء الاشتراكية وفق المبادئ التالية : بذل أقصى الجهود ، السير دائما نحو الأمام ، كم ، سرعة ، جودة ، اقتصاد» .

إن الجماهير متحمسة أكثر من أي وقت مضى ، روحها المعنوية و القتالية مرتفعة أكثر من أي وقت مضى ، وقد أعطت الجماهير درسا من خلال مبادرتها وروحها الثورية الخلاقة ، صانعة بذلك وضعا جديدا – القفزة الكبرى إلى الأمام في بناء الاشتراكية و مؤسسة الكومونات الشعبية ذات الأهمية التاريخية الكبرى .

هكذا ظهر ليو تشاو تشي و من لف لفه على الساحة وهاجموا الخط العام بشراسة، هاجموا القفزة الكبرى إلى الأمام و الكومونات الشعبية كما افتروا على الحركات الثورية للجماهير . و امتثالاً لأوامر ليو تشاو تشي أثار يانغ هزيانتشن معركة جديدة في مجال الفلسفة حيث اعد نظرية تقول : «لا تطابق بين الفكر و الوجود» . لقد أعلن متعسفا : «إن التطابق بين الفكر و الوجود – طرح مثالي» . «التطابق بين الفكر و الوجود» و «التطابق الجدلي» ليسا نفس الشيء ، و إنما ينتميان إلى «صنفين مختلفين» ، مشوها بشكل سافر الماركسية اللينينية من خلال وضع التطابق بين الفكر و الوجود ، في الموقع المضاد للنظرية المادية بصدد الوعي (التفكير) ، و زعم أنه بصدد مسألة العلاقة بين الفكر و الوجود فإن «المادية تستعمل نظرية الوعي (التفكير) من أجل حلها (حل مسألة العلاقة بين الفكر و الوجود – المترجم) بينما تحلها المثالية عن طريق التطابق» .

إن الجدل المادي يعلمنا كون قانون وحدة الأضداد قانون كوني .

إن تطابق الضدين ، أي الاعتماد المتبادل بينهما من حيث كون احدهما شرط وجود الآخر ، وأيضا التحول المتبادل ، يصح ، دون أدنى شك فيما يخص العلاقة بين الفكر والوجود .

بإنكاره للتطابق بين الفكر و الوجود ، أنكر يانغ هزيانتشن كون الطرفين المتعارضين في التناقض بين الفكر و الوجود يتعلق احدهما بالأخر ، كما أنه بإمكان احدهما أن يتحول إلى الآخر يتبدل – يقضي على الآخر في شروط محددة .

إذا كان تأكيد يانغ هزيانتشن صحيحا فإن قانون وحدة الأضداد كما يعلمه إيانا الجدل لن يصير قانونا كونيا .

لقد وضع يانغ هزيانتشن الفكر و الوجود في تضاد مطلق ، لقد عارض الدور الدينامي للنظرية الثورية و عارض أيضا الحركة الثورية الجماهيرية ، لقد بالغ حد السخافة في ايلاء الأهمية لمظاهر الحركة الثورية الجماهيرية الغير أساسية و الثانوية ، لقد ركز هجمته على نقطة واحدة مع ازدراء كل الباقي .

لقد أغلق عينيه تماما عن محرك مظاهر الحركة الثورية الجماهيرية الرئيسية و دون أن يرف له جفن مرر انطباعاته الذاتية اللاثورية على أنها الحقيقة الموضوعية في محاولة فاعلة لقلب ديكتاتورية البروليتاريا و احياء الرأسمالية .

هذه هي المثالية الذاتية الصافية و الخالصة .

بإنكاره للتطابق الجدلي بين الفكر و الوجود عارض يانغ هزيانتشن في نهاية المطاف أن تتسلح الجماهير بفكر ماو تسي تونغ و تستخدم هذا الفكر من أجل تفعيل تغيير العالم .

إن نظرية يانغ هزيانتشن الرجعية هذه هي ما شكل الأساس النظري لفلسفة الاحتقار الكمبرادوري أمام الأجنبي و أسست أيضا «للحلزونية» ، البضاعة الرديئة التي سوقها ليو تشاو تشي متجولا ، في سنة ١٩٥٨ دلنا الرئيس ماو بوضوح على المحرك الرجعي لمثالية يانغ هزيانتشن هذه . في سنة ١٩٦٣ كتب ماو مقاله الشهير «من أين تأتي الأفكار السليمة؟» حيث يعرض بطريقة ثاقبة الحقيقة الكبرى

«لتحول المادة إلى روح و الروح إلى مادة» و يطور بطريقة خلاقة النظرية الماركسية حول المعرفة و ينتقد بشدة مثالية ليو تشاو تشي و متافيزيقيته البرجوازية بمعية يانغ هزيانتشن ومن لف لفهما ، و وضع تلخيصا لأكثر الصراعات العلمية تركيزا على مسألة التطابق بين الفكر و الوجود .

في سنة ١٩٦٤ و بأمر من ليو تشاو تشي ، ابتكر يانغ هزيانتشن النظرية الرجعية التي تقول «الاثنان يندمجان في واحد» في معارضة واضحة للجدل الثوري للرئيس ماو «الواحد ينقسم إلى اثنان» ما أدى إلى صراع أكثر اتساعا و موجها بالنظرية الثورية للرئيس ماو بصدد استمرار الثورة تحت ديكتاتورية البروليتاريا ، أطلق الشعب الصيني هذه السنة حركة تربية اشتراكية في البلاد و دخل في حرب كلامية مفتوحة مع التحريفية السوفياتية ، ومصاغة في هذه اللحظة ، أجابت النظرية الرجعية «الاثنان يندمجان في واحد» تحديدا عن المتطلبات اللاثورية للامبرياليين و التحريفيين و الرجعيين و خدامهم ليو تشاو تشي و من لف لفه . قال الرئيس ماو «كل شيء ينقسم إلى اثنان ، هذا أصل لا يتبدل» ، «في المجتمع البشري كما في الطبيعة كل الأشياء تنقسم دائما إلى أجزاء ، فقط الشكل و المضمون يتغيران حسب الشروط الملموسة» و تصور الرئيس ماو القائل «الواحد ينقسم إلى اثنان» هو التعميم الأكثر نفاذا والأكثر اقتضابا (concise) والأكثر عمقا بصدد قانون وحدة الأضداد انه تطور كبير للجدل المادي .

إن الاعتراف بهذا المبدأ ، يعني الاعتراف بوجود خطر احياء الرأسمالية و بالتهديد العدواني الهدام من لدن الامبريالية و التحريفية المعاصرة ، و ذلك على صعيد المجتمع الاشتراكي على صعيد الطبقات و التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي بين النهج الاشتراكي و النهج الرأسمالي .

من أجل حل هذه التناقضات يبقى استمرار الثورة تحت قيادة البروليتاريا أمرا ضروريا في حين تزعم النظرية الرجعية «الاثنان يندمجان في واحد» أن تطابق

الأضداد يعني أن المتناقضين «مرتبطين بحيث لا يقبلان التجزؤ» و أن دراسة هذا التطابق يكمن في البحث عن «أرضية مشتركة» و «خيارات مشتركة» .

تهدف هذه المثالية الرجعية إلى تحقيق التوافق على صعيد التناقضات ، إلى تصفية الصراع إلى إنكار التحول و معارضة الثورة ، إنها الميتافيزيقا و المثالية البرجوازيتان بنسبة ١٠٠%. .

إن هدفها هو السعي إلى إحقاق الاندماج بين البروليتاريا و البرجوازية بين الثورة و الثورة المضادة إنها تعارض استمرار الثورة تحت قيادة البروليتاريا و تسعى إلى إحياء الرأسمالية إنها نظرية «خمود الصراع الطبقي المصاغة» من طرف ليو تشاو تشي .

منذ ظهورها تلقت نظرية «الاثنان يندمجان في واحد» الضربات الساحقة من لدن المعسكر العام البروليتاري و الجماهير الثورية .

لقد أدار الرئيس ماو بنفسه الصراع خلال نقد هذه النظرية التحريفية و دل بطريقة ثاقبة على أن محركها كان تحقيق التوافق بين الطبقات محددا بذلك مصير هذه النظرية الرجعية .

إن الصراعات الثلاثة الكبرى على الجبهة الفلسفية تبين أن المجابهة في هذا المجال تعكس دائما صراع الطبقات و صراع الخطين ، و لا يجب أن نعتبر الأمر كـ «مناظرة أكاديمية» ببساطة .

لقد هاجم ليو تشاو تشي و يانغ هزيانتشن و رفاقهما بحمية المادية الجدلية و المادية التاريخية و نشروا المثالية و الميتافيزيقية الرجعيتين وأثاروا الصراع تلوى الأخر، كل ذلك في محاولة فاشلة لضرب الأساس الفلسفي للخط الثوري البروليتاري للرئيس ماو وإعطاء «أساس» للخط التحريفي المضاد للثورة المحدد بهدف احياء الرأسمالية .

لقد ظهرت الأدبيات الفلسفية للرئيس ماو و تطورت خلال الصراع الممتد في آن واحد ضد الخط الانتهازي «اليساري» و الخط الانتهازي اليميني داخل الحزب ضد النزعات التحريفية العالمية إنها التلخيص الأكثر علمية و صوابا لصراع الخطين .

لقد بينت لنا الصراعات الكبرى الثلاثة أيضا أن صراع الخطين هو في نهاية التحليل صراع بين تصورين اثنين للعالم ، و إن تصور الفرد للعالم يحدد الخط الذي يدافع عنه و يطبقه .

إذا كان ليو تشاو تشي و يانغ هزيانتشن قد روجا للخط الرجعي المضاد للثورة فإن السبب هو تصورهم للعالم ، تصور المرتدين ، و مثاليتهم و متافيزيقيتهم البرجوازيتان .

من أجل الدفاع عن الخط الثوري للرئيس ماو و تطبيقه بشكل واع ، ينبغي لنا الدراسة الواعية للأدبيات الفلسفية للرئيس ماو ، باعتماد المادية الجدلية و التاريخية لهزم المثالية و الميتافيزيقا في روحنا و بالتالي في تصورنا للعالم .

ينبغي لنا أن نتعلم كيف نميز بين الماركسية و التحريفية ، بين الخط السليم و الخط الخاطئ . لقد انتهت جميع هذه الصراعات الرئيسية الثلاثة في المجال الفلسفي بانتصارات باهرة للأدبيات الفلسفية للرئيس ماو .

لكن صراع الطبقات لم ينته بعد فالصراع بين المادية و المثالية بين الجدل و بين الميتافيزيقا سيستمر إلى ما لا نهاية . ينبغي لنا أن ننتقد بشدة مثاليتهم الفلسفية الرجعية وأن نرفضها كليا و نبرهن على أن الأدبيات الفلسفية اللامعة للرئيس ماو ستستمر أبدا في إنارة درب تقدمنا المنتصر .

ترجمة : أمين الخطابي .

اعاد الصوت الشيوعي صياغة بعض الجمل والفقرات ، بما يؤدي الى استقامة المعنى ، اعتماداً على سياق الكلام ، بالنظر لعدم توفر نسخة ورقية للنص لديه وعدم توفر نسخة الكترونية في مكتبة "من ماركس الى ماو" لهذه المقالة .

المصدر : موقع طريق الثورة – الجديد – للحركة الماوية المغربية .